

المراحل التي مرت بها الشيعة الرافضية

الكاتب: د علي محمد الصلابي



مررت الشیعة الرافضة فی نشأتها بعدة مراحل، حتى أصبحت فرقہ مستقلة متميزة بعقیدتها واسمها عن سائر فرق الأمة.

ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى:

دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة؛ كدعوته لعقيدة الرجعة، وإحداثه القول بالوصية لعلي، رضي الله عنه، والطعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة، وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضال البعيد عن روح الإسلام أمران:

1- اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته؛ حيث بث دعوته في بلدان مصر، والعراق، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار كما في كلام الطبرى (١)، فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح، وتترسخ أقدامها في العلم الشرعى والفقه بين الله تعالى؛ وذلك لقرب عهدها بالإسلام، فإن تلك الأمصار إنما فُتحت في عهد عمر رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز وعدم التفقة والتللمذ والتربية على أيديهم.

2- أن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات، فإنه زيادة في المكر والخديعة أحاط دعوته بستار من التكتم والسرية، فلم تكن دعوته موجهة لكل أحد، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس، وأصحاب الأغراض

الخبيثة ممن لم يدخلوا في الإسلام إلا كيدها لأهله، بعد أن قوشت جيوش الإسلام عروش ملوكهم، ومزقت ممالكهم، وقد تقدم كلام الطبرى السابق عن ابن سبأ: فبث دعاته وكاتب من كان استفسده في الأمصار، وكاتبوا، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم (2)، يقول في سياق وصفهم: وأوسعوا في الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون (3)

المرحلة الثانية:

إظهار هذا المعتقد والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان، رضي الله عنه، وانشغل الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متنفساً في تلك الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة ممن أصلهم ابن سبأ، وليس لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتلي بمصيبيتهم في مقتل عثمان، رضي الله عنه، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين.

ومما يدل على ذلك ما نقله الطبرى: وتكلم ابن السوداء، فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم (4)، وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئية وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة؛ بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة وأحداثها، يقول ابن حزم مقرراً ذلك: ويرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإراعة والتدمير عليهم، فبيتوا عسکر طلحة والزبير، وبذلوا السيوف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم (5)

اشتداد أمرهم وقوتهم واجتمعوا تحت قيادة واحدة، وذلك بعد مقتل الحسين، رضي الله عنه؛ للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه، يقول الطبرى في حوادث سنة أربع وستين للهجرة: وفي هذه السنة تحرك الشيعة بالковة، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسیر لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي، وتكلّموا في ذلك.

وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبرى من روایة عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي، أنه قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأى أنها قد أخطأ خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، وقتلهم إلى جانبهم دون أن ينصلوه، ورأوا أنه لا يُغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففرعوا بالkovفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة؛ إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي، صلى الله عليه وسلم، وإلى المسيب بن نجدة الفزارى، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفیل الأزدي، وإلى عبد الله بن وائل التيمى، وإلى رفاعة بن شداد البجلي.

ثم إن هؤلاء الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد، وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم⁽⁷⁾، وكان هذا الاجتماع عاماً يشمل كافة الشيعة، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفاً، ثم لم تعجب سليمان قلتهم، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى في الكوفة، وخرج الناس معهم ف كانوا قريباً من عشرين ألفاً⁽⁸⁾، ثم إنه في هذه اللحظة قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة، فوجد الشيعة التفت على سليمان بن صرد، وعظموا تعظيمًا زائداً، وهم معدون للحرب.

فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامية المهدي محمد بن علي بن أبي طالب، وهو محمد ابن الحنفية، ولقبه بالمهدى، فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة فرقتين؛ الجمhour منهم مع سليمان يريدون الخروج على الناس؛ ليأخذوا بثار الحسين، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامية محمد ابن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية، وإنما يتقولون عليه؛ ليروجوا على الناس به، ولি�توصلوا إلى أغراضهم الفاسدة (9)

فكان هذا بداية اجتماع الشيعة، ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام، فالتحقوا مع أهل الشام عند عين تسمى عين الوردة، واقتتلوا قتالاً عظيماً لمدة ثلاثة أيام

يقول ابن كثير، رحمه الله: لم ير الشيب والمرد مثله، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الله (10) ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد، رحمه الله، وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، ودعوة من بقي من أصحابه إلى الكوفة (11)، وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة، أخبروه بما كان من أمرهم وما حل بهم، فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: وبعد، فأنا الأمير المأمون، قاتل الجبارين والمفسدين إن شاء الله، فأعدوا واستعدوا وأبشروا (12)

يقول ابن كثير، رحمه الله، وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن وحيه الذي كان يأتي إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتي شيطاناً فيوحي إليه قريباً مما كان يوحي شيطان مسليمة له (13) ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان، والرساتيق من أرض العراق، وخراسان وعقد الألوية والرايات.. ثم شرع المختار بتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله (14)

انشقاق الشيعة الراضة عن الزيدية وبباقي فرق الشيعة، وتميزها بمسماها وعقيدتها، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة، عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك (15)، فأظهر بعض ما كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرضوه؛ فسموا بالراضة، وسميت الطائفة الباقة معه بالزيدية (16)

يقول ابن تيمية، رحمه الله: إن أول ما عرف لفظ الراضة في الإسلام عند خروج زيد بن علي في أوائل المائة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، فتولا هما، فرفضه قوم فسموا الراضة (17)، وقال: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى راضية وزيدية، فإنه لما سُئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه القول، فقال لهم: رفضتموني، فسموا راضية؛ لرفضهم إياه وسمى من لم يرفضه من الشيعة زيدياً؛ لأن تسابهم إليه (18)، ومنذ ذلك التاريخ وتميزت الراضة عن باقي فرق الشيعة فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها (19) والله تعالى أعلم.

الإشارات المرجعية:

١. تاريخ الطبرى 347/5
٢. المصدر السابق
٣. المصدر السابق 348/5
٤. المصدر السابق 526/5
٥. الفصل في الملل والنحل والأهواء 239/4

٦. تاريخ الطبرى 487/6
٧. تاريخ الطبرى 510/6
٨. البداية والنهاية 254/8
٩. المصدر نفسه
١٠. البداية والنهاية 257/8
١١. المصدر نفسه
١٢. المصدر نفسه 258/8
١٣. المصدر نفسه 257/8
١٤. المصدر نفسه 271/8
١٥. تاريخ الطبرى 160/7
١٦. الانتصار للصحاب والآل، ص 47
١٧. مجموع الفتاوى 36/13
١٨. منهاج السنة 1/35الانتصار للصحاب والآل ص 48

المصدر:

١. د. علي محمد الصلايبي، فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة، ص 106

الكلمات المفتاحية:

#الشيعة #الرافض #الرافضة

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.